

أولعت منذ حداقتي بتراجم العظماء فقرأت أولاً كتاب "سيرة النجاح" ثم تصفحت مجلدات المقتطف فطالعت التراجم التي انطوت في صفحاتها مثل بسمارك، وغلادستون من السياسة أو الاسكندر، وهنريال، وقلب الاسد، ونيولون، من الرواد، أو شكسبير، وماتن، وأني العلاء، من الأدباء أو طاليس، وجليليو، ونيوتن، وأرسطو، وسبنسر، من العلماء والفلاسفة، أو ركفلر، وروتشيلد، وكارنيجي، من رجال المال والأعمال، أو سكوت، وبيري، وشاكلتن، وامندسن، من الرواد. وقد تركت هذه التراجم في نفسي أثراً تعمّل بعد الدرس والاختبار وموالات المطالعة في كتب التراجم إلى إيمان بأن خير الوسائل لعرض المعارف على الشبان والشابات وتشويقهم إلى الاستزادة منها، تقوم على ادماج الحقائق العلمية المختلفة في صلب تراجم العظام والعظميات وما فيها من حوادث ونوادير تسترعى النظر وتسرى عن العقل. وكذلك يستطيع القارئ أن يستوعبها من دون عناء كبير، لما تنطوي عليه من نزاع بين المادة والروح، وصراع بين عوامل التشييط والخيرة، وقوة المشيئة وصلابة العزم، وترفع عن الصغائر، وعناية بالاركان، والاعتراف بالفضل لذويه بعد إهمول ذكرهم واضطهادهم في الغالب.

هذا الاعتقاد حفزني إلى العناية بإصدار بعض هذه التراجم التي نشرها المقتطف مجموعة في ثلاثة كتب هي «أعلام المقتطف»، و«الرواد»، و«رجال المال والأعمال».

وقد عانيت من بضع سنوات بجمع ما تيسر جمعه من سير أعلام العلماء، توطئة لكتابة فصول، تجمع بين لذة الرواية من ناحية، وحقائق العلم مفرغة في قالب السيرة من ناحية أخرى. فوقعت لي كتب طالعت معظمها غير مرة، لما وجدته في فصولها من تشويق، ولأنني كنت أرغب في اقتفاء أثرها في وضع الفصول العربية. ونشرت بعض هذه الفصول في أعداد متفرقة من المقتطف، وكان بعضها ملخصاً من كتاب أو أكثر. ثم لما صحت العزيمة على إصدار هذا الكتاب جمعت بعض هذه الفصول ووضفت إليها فصولاً حديثة لم تنشر قبلاً (هي فصول كوبرنيكوس ومكسول ودلتن وأفوجادرو ورذرفورد وريط وبيرد وجانب كبير من فصول جليليو ونيوتن ودافني وفراداي وهرشل) وجعلتها في أربعة أبواب.

فالباب الأول يشتمل على طائفة من أكبر علماء الفلك الحديث وهم كوبرنيكوس وكبلر وجليليو ونيوتن وهرشل واينشتين.

والباب الثاني يشتمل على طائفة من أشهر المكتشفين في ميدان الطبيعة والكيمياء وهم بريستي ولافازييه ودافني ووهر وفراداي ومكسول وميكلسن ولنجميور.

والباب الثالث افردته لاهم الباحثين في الذرة وتركيبها وهم دلتن وافوجادرو ومنديليف وكوري وطومسون وموزلي ورذرفورد

فعلماء هذه الابواب الثلاثة اشتغلوا بكشف اسرار الفلك والكيمياء والطبيعة ، وجميعهم من ارباب العلم النظري، ولكن معظم المخترعات الحديثة بنيت على مكتشفاتهم النظرية. لذلك جعلت الباب الرابع شاملاً لسير ثمانية من الاعلام ، في عملهم ناحية من تطبيق العلم على العمل ، وهم اربعة اطباء محدثين : "س" و"بانتيج" و"مينو" و"فاجير" يورج ، واربعة مخترعين وهم ادوين ومركوني و"ريبط" و"بيرد" اما الفصل الاخير فهو سيرة السر اوليفر ليدج ، الذي بدأ حياته عالماً من الطبقة الاولى ، وانتهى عن طريق بحثه في الاثير الى الايمان ببقاء الشخصية بعد الموت فبحثه في الاثير كان الجسر الذي عبر عليه من الطبيعة الى ما وراءها ، ولعل رأيه في الاثير والعقل وبقاء الشخصية خير فصل يختم به الكتاب

وقد تجاوزت الآن عن اعلام علوم الأحياء بفروعها المختلفة ، على رجاء ان افرد لمقدميهم كتاباً خاصاً ، اذا اتيج لي ذلك

ولا يخفى انني اغفلت طائفة كبيرة من علماء الطبقة الاولى ، امثال بويل وهو جنس وكروشوف وهلمهلتز وبنصن وديكارت ولا بلاس من المتقدمين وارهينيوس واوستولد وبكرل و"بهر" و"ملكن" و"بلانك" و"استن" و"صدي" من رجال العصر الحديث ، وذلك اما لضيق نطاق الكتاب ، أو لقله ما عندي من الحقائق اللازمة لكتابة تراجمهم ، أو لانني ذكرهم جاء في سياق الكلام على عالم بعينه فاكثفت به الآن . فقلنا نجد في العصور المتأخرة عالماً انفرادي يبحث كامل او اكتشاف مستقل كما فعل كبار ونيوتن تقريباً في تعيين افلاك السيارات وفي استخراج ناموس الجاذبية . فالكلام على طومسون والكهرب يشمل الكلام على كوري كذلك وولسن مصور الكهرب ، و"ملكن" و"زان" شحنته ، ورذرفورد مكتشف قسيمه البروتون . والكلام على رذرفورد يشمل ذكر صدي مساعده في بحثه الاول المستقل ، وموزلي مساعده ، في منشستر ، وشدوك وكوكرفت وولطن وغيرهم من الثمانيات النوايع مساعديه في كبردج

ولما كان الغرض من الكتاب الترجمة للعلماء ، فقد تناولت احياناً نواحي من مباحثهم العلمية لماماً ، فيجدر بمن ينبغي التوسع في بعض هذه النواحي ان يراجع كتابي (فتوحات العلم الحديث) وما كان من قبيله

وارجو بعد هذا ان يكون قد قمت بجانب يسير مما يجب علي نحو الثقافة العلمية العربية

فؤاد صروف

القاهرة